بسم الله الرحمن الرحيم

حول تفسير قوله تعالى :

(الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)

يقول الحق جلّ جلاله : { الأخلاءُ يومئذ بعضُهُم لبعضٍ عدو } أي : المتحابون في الدنيا على الأمور الذميمة متعادون يوم القيامة ، يبغض بعضهم بعضاً ، فتنقطع في ذلك اليوم كل خُلة كانت لغير الله ، وتنقلب عداوة ومقتاً؛ لانقطاع سببها، وهو الاجتماع على الهوى،{ إِلا المتقين } أي : الأخلاء المصادقين في الله ، فإنها الخُلة الباقية؛ لأن خُلتهم في الدنيا لمَّا كانت لله ، وفي الله ، بقيت على حالها؛ لأن ما كان لله دام واتصل ، وما كان

لغير الله انقطع وانفصل ، بل تزداد خُلتهم بمشاهدة كل واحد منهم بركة خُلتهم من الثواب ، ورفع الدرجات .

– وسُئل صلى الله عليه وسلم : مَن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال : « المتحابون في الله »

–وخرَّج البزار عن ابن عباس رضي الله عنه قيل : يا رسول الله! أَيُّ جُلَسَائِنا خيرٌ؟ قال : « مَن ذكَّرَكُم بالله رؤيتُه ، وزاد في عَمَلِكم مَنطِقُه؛ وذكَّركُمْ بالله عِلمُه » .

ومن كلام الشيخ أبي مدين رضي الله عنه : دليل تخليطك صحبتك للمخلطين ، ودليل انقطاعك إلى الله صحبتك للمنقطعين .

قال مالك : لا تصحبْ فاجراً لئلا تتعلَّم من فجوره .

قال ابن رُشد : لا ينبغي أن يُصحب إلا مَن يُقتدى به في دينه وخيره؛ لأن قرين السوء يُردي .

قال الحكيم :

عَن المرْءِ لا تَسْأَلْ وسَلْ عن قَرِينه

فَكُلُّ قَرِينِ بالْمُقارِنِ مُقْتَد

وفي الحديث : « المَرْءُ على دينِ خَليله »

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب

عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في قوله: "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين" قال:(خليلان مؤمنان وخليلان كافران توفي أحد المؤمنين فبشر بالجنة ،فذكر خليله وقال : اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر وينبئني أني ملاقيك، اللهم لا تضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني وترضى عنه كما رضيت عني،فيقال له اذهب، فلو تعلم ما له عندي لضحكت كثيراً ولبكيت قليلاً ، ثم يموت الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال:

ليثن كل واحد منكما على صاحبه ،فيقول كل واحد منهما لصاحبه: نعم الأخ ونعم الصاحب ونعم الخليل وإذا مات أحد الكافرين بشر بالنار، فيذكر خليله فيقول :اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ،ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير وينبئني أني غير ملاقيك ،اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني وتسخط عليه كما سخط علي،فيموت الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال : ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول كل منهما لصاحبه :بئس الأخ وبئس الصاحب وبئس الخليل .

وشرط الخلَّة في الله؛ ألا يستعمل بعضُهم بعضاً في الأمور الدنيوية ، ولا يرتفق بعضهم ببعضٍ؛ حتى تكونَ الصحبةُ خالصةً لله لا لنصيبٍ في الدنيا ، ويكون قبولُ

بعضهم بعض لأَجْلِ الله ، ولا تجري بينهم مُداهَنَةٌ ، وبقَدْرِ ما يرى أحدُهم في صاحبه من قبولٍ لطريقِ اللَّهِ يقبله؛ فإنْ عَلِمَ منه شيئاً لا يرضاه اللَّهُ لا يَرْضَى ذلك من صاحبه ، فإذا عاد إلى تركه عاد هذا إلى مودته ، وإلاّ فلا ينبغي أن يُساعدَه عَلَى معصيته ، كما ينبغي أن يتقيه بقلبه ، وأَلا يسكنَ إليه لغرضٍ دنيوي أو لطمعٍ أو لِعِوَض

–وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الجليس الصَّالح مَثَلُ العَطَّارِ ، إنْ لَمْ يُحْذِكَ مِنْ عِطْره يَعْلق بك مِنْ رِيحِه . ومَثَل الجَلِيس السُّوء مَثَلُ الكِير إن لم يَحْرِق ثِيابَكَ يَعْلق بك مِن رِيحِه »

وقال في الحِكَم : « لا تصحب من لا يُنْهِضُكَ حاله ، ولا يَدُلُّكَ على الله مَقَالُهُ » . فإنهاض الحال هو ذكر الله عند رؤيته ، والانجياش إليه بالقلب عند صحبته . ودلالة المقال على الله هو زجه في الحضرة بلا تعب ، بان يرفع

بينه وبين ربه الحُجُبَ ، ويقول له : ها أنت وربك .

وهذه حال الصوفية العارفين بالله.

– وفي شانهم قال صاحب العينية رضي الله عنه :

فَشَمِّرْ وَلُذْ بالأَوْلياءِ؛ فإنهُمْ

لهُمْ مِنْ كِتَابِ الحَقِّ تِلْكَ الوَقَائِعُ

هُمُ الذُّخْرُ لِلْمَلهُوفِ والكَنْزُ للرَّجَا

وَمِنهُمْ يَنَالُ الصَّبُّ ما هُوَ طَامِعُ

بِهِم يَهْتَدِي لِلْعَينْ مَنْ ضَلَّ فِي الْعَمَى

بِهمْ يُجْذَبُ العُشَّاقُ والرَّبْعُ شَاسِعُ

هُمُ القَصْدُ والمطْلُوبُ،والسُؤْلُ،والمُنَى

واسْمُهُمُ للصَّبِّ،فِي الحُبِّ شَافِعُ

هُمُ النَّاسُ،فَالْزَمْ إنْ عَرَفْتَ جَنابَهُمْ

فَفيهمْ لِضُرِّ العَالَمِينَ مَنَافِعُ

-والحاصل من هذا؛ أن صحبة الأولياء هي التي يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب ، دون من عداهم ، لأنهم خُصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص ، لم يساهمهم فيها أحد سواهم .

وسريان ذلك من الصاحب إلى المصحوب هو غاية الأمل والمطلوب ، فقد قيل : مَنْ تَحَقَّقَ بِحَالَةٍ لَمْ يَخْلُ حَاضِرُوهُ مِنْهَا .

فانتبه أخي المسلم إلى من تصاحب وإلى من تجالس حتى لا تكون كالذي قال الله عنه: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا)(الفرقان:٢٧)

وتكون كاللذين قال الله عنهم:(الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) (الزخرف:٦٧)

والحمد لله في بدء وفي ختم

=====================================

المصادر:

_ تفسير البحر المديد لابن عجيبة.

_ تفسير القشيري.

__فتح القدير للشوكاني.